**اللسانيات الحديثة : المفهوم / التأسيس / سوسير ولسانيات القرن العشرين:**

**تمهيد:**

عرف الدرس اللساني ثورة "كوبرنيكية[[1]](#footnote-1)•" كبيرة بفضل تصورات جديدة ومنهج حديث خلال القرن العشرين بفضل العالم اللساني السويسري: "دي سوسير" الذي غير مواقف القرن التاسع عشر في مجال اللغة ودراستها من خلال دروس ومحاضرات نشرت بعد وفاته في كتاب سمي بـ "محاضرات في اللسانيات العامة"، ونشأت حول الكتاب حركة لغوية علمية كشفت عن أسس نظرية لعلوم مختلفة من بنيوية ونقدية وسيميائية ونفسانية واجتماعية وغيرها.

ولا يمكن الحديث عن مصير اللسانيات بدون "سوسير" الذي ورث إرثه العلمي لأجيال عديدة بررت لاحقا في حقل العلوم اللسانية واتجاهاتها ويكفي ذكر: تروبتسكوي، هيلمسلين، جاكوبسون، بنفينيست، مارتيني، بارت، غريماص، ليفي شتروس، جاك لاكان (المجال النفسي في اللغة)... الخ وغيرهم.

يقول جورج مونان: "ولا يزال من المفيد أن نوفق بين علم اللغة التاريخي والعلوم اللغوية العامة الجديدة التي نشأت بين 1900 – 1930، ولا يسعنا أن نصف بكلمة واحدة علم اللغة بعد عام 1900 ونقول: "وأخيرا جاء "سوسير" ... ولئن كانت أبرز سمات القرن العشرين هي العودة إلى علم اللغة العام، أي النظر في عموميات اللغة وهي التي امتنعت على القرن التاسع عشر وسوسير بلا ريب أول لغوي تجرأ على القيام بدرس في غلم اللغة العام... وطالما أن القواعد العامة تستهدف شرح العلاقة الموجودة بين عمليات الفكر وأشكال اللغة... وتتأكد نظريات القواعد العامة بعد التمحيص العلمي لمختلف الألسن الحية على سطح الأرض...".

\*/ يمثل كتاب "سوسير" عرضا متكاملا لنظرية لغوية بمنطلقات نظرية ومنهجية على نحو مكن الدرس اللساني بعده من انطلاقة جديدة وبنظرة علمية دقيقة من أجل بناء نظرية لسانية شاملة عن اللغة الإنسانية، وقد كان تأثيره واضحا في علم لغة القرن العشرين، ومن أبرز أفكار "سوسير" التي عرفت امتدادا إلى فكر القرن العشرين:

- تأكيده على نظامية اللغة، وتحديدا نظامية مجال اللسان الذي يمثل الموضوع الوحيد والحقيقي لعلم اللسان.

- اللسان هنو الموضوع الوحيد القابل إخضاعه للثنائيات خاصة ثنائية التزمن/ التزامن التي تعد منهجا تحليليا ضروريا لمعرفة خصائص اللغة ونظامها.

تحديده لطبيعة اللغة الإنسانية ومقارنته للغة المعينة (اللسان) بالسيمفونية والكلام بالعزف المحدد، وتشبيه النظام بلعبة الشطرنج (الدراسة الداخلية والخارجية للغة).

- لب نظريته اللغوية هو إدراكه لطبيعة اللغة وهي نظام من العلامات (نظام كل عناصره متماسكة)، وكل عنصر فيه يقتضي الآخر بشكل متبادل، وكل عنصر فيحدد من خلال موقعه في الشبكة الكلية للعلاقات، وكل علامة تحصل قيمتها من مقابلتها للعلامات الأخرى للنظام ذاته مبدأ التشابه والاختلاف (اللغة نظام بنيوي بداية البنيوية).

- تحديده للعلاقات الجدولية والنحوية الأفقية هو تحديد لمجالات البحث (العلم): "علم الأصوات، الصرف، النحو، المعاجم، الدلالة".

- تأكيده على العامل النفسي والاجتماعي للغة.

**\*/ سوسير وتأسيس الدرس اللساني:**

- أول ما حدده سوسير هو استقلالية علم اللسان "يجب أن يحدد نفسه بنفسه".

- ثم تحديد للموضوع الذي سيعالجه هذا العلم القائم بذاته.

- ثم تطوير مناهج خاصة لبحثه (وإقراره المنهج الوصفي).

\*/ ويشير "سوسير" في تحديده لموضوع علم اللسان إلى تعقيد هذه المسألة: "إن موضوع اللسانيات غير محدد"، ويضيف شارحا أن الحدث اللساني في جوهره مزدوج، واللغة كواقعة ليست كيانا بسيطا، ينبغي أن يفترض أولا في عملية التحليل جانب العلامة والدلالة وليس الصوت وحده".

وسبب التعقيد إذن يرتبط/ يعود إلى الجوهر المزدوج للغة وكذا عدم بساطة الحدث اللساني كموضوع بحث لمنهج عملي، وهنا يتساءل سوسير قائلا: "هل تجد اللسانيات أمامها كوضوح أولي ومباشر موضوعا معينا يكون عبارة عن مجموعة من الأشياء المحسوسة مثلما هو الحال في الفيزياء، والكيمياء وعلم النبات وعلم الفلك؟ الجواب بالتأكيد هو النفي".

\*/ ومن جهة أخرى ميز "دي سوسير" – في تحديد لموضوع اللسانيات – بين المادة والموضوع:

1- مادة اللسانيات: هي كل مظاهر الكلام البشري وأشكاله المختلفة (اللغة الراقية، الشعبية، العامية، لغة الشعوب البدائية أو الشعوب المتحضرة/ المتقدة، اللغة المنطوقة، الشفافية، المكتوبة ...الخ).

2- أما موضوع اللسانيات: فهو اللسان في ذاته ومن أجل ذاته (في جل المدارس اللسانية الحديثة حدد موضوع اللسانيات باللسان بصيغ وعبارات وتسميات متشابهة).

\*/ كمد حدد "سوسير" بالإضافة إلى (المادة والموضوع) مهمة اللسانيات في ثلاثة أمور وهي:

- وصف الألسن ووضع تاريخ لها (بناء الأسر ولغة الأم إن أمكن).

- البحث عن القوى الموجودة في كل لسان مع استنتاج القوانين العامة.

- تحديد اللسانيات وتعريف نفسها بنفسها.

1. • كوبرنيكية: ثورة كبيرة، تغير جذري ضد المفاهيم السائدة السابقة (مثل: نظرية "أنشتاين" ومفهوم النسبية)، من كتاب موجز تاريخ علم اللغة في الغرب. [↑](#footnote-ref-1)